فاستبعدوه كما هو شان الانسان المجبول في كل ما لم يطلع عليه ابن جنسه او كاد حتى يقول
الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله حتى اذا استيأس الرسل الاية وطال عليهم الامد
فقست قلوبهم وكثر من قولهم متى هذا الوعد متى هذا الفتح ونحو ذلك وكان للنفوس في
عدم الاعادة هوى لاطلاق عنانها في الشهوات وسائر المناهي لا سيما من لج في الظلم بالله
والفتك كالملوك والاقوياء والمترفين فتكلموا انه لا اعادة لئلا يتنغصوا كالفساق العصاة
بسوء هم ذكر الاخرة مع اعترافهم بها ثم كثر ذلك فيهم ونشا اخرون مع شيوعه فاعتقدوه
اعتقادا متمكنا فجا الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالتذكير فنافقهم ما يهوون شنعنا او شنقنا
فثقل عليهم ما جاوا به وانفوا من ان يوصفوا بالخطا والجهل والتفريط فكذبوا الرسل
وصارت عصبية فاذا هم فريقان يختصمون ثم توارثوا التكذيب وطال العهد من هي الانبيا همم
بلا فترا او الجنون والسحر ومن السخرية بهم وجعلوا انكار البعث نصب اعينهم لانه
من اعظم مواضع المشاجرة بينهم وبين الرسل وبالغوا العادة المكابرين في ادعاء
الحقائق وجعل اظهر الامور اخفاها حتى قال قائلهم حيوة ثم موت ثم نشر
حديث خرافة يا ام عمرو واعلم ان مدعي الكلام قد سلكوا نحو هذا في مقالهم
باطلة ضرورة البطلان كالجبر ونحوه وقد جاءت السنة بان الناس يتركون الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ثم يتدرج امرهم الى ان يروا المعروف منكرا والمنكر معروفا الخبر
وينشا الاخر وهو يرا السنة بدعة والبدعة سنة ونحو ذلك وقد صدق الخبر ولا
ترا اكثر من هذا اليوم نسال الله السلامة ومن عرض ابليس ومنتهى امله فيهم البلوغ
الى درجته نعوذ بالله منه سورة الصافات من قوله تعالى وعندهم قاصرات
الطرف تكرر في الكتاب العزيز وصفهن بذلك لانه من اشد التنغيص على الرجال ان
تنزع نفس امراته الى سواه فجعل نسا الجنة قاصرات الطرف مقصورات في الخيام لذلك
كما وصفهن بطهارتهن عن دنس الطمث يعم الحسي والمعنوي لان كلاهما قد امتنع قوله تعالى
والله خلقكم وما تعملون قد لجات مكابرة المجبرة وعميهم تحريفهم وقصر دهم بضلالتهم
عن طريق الهدى الى ان يحتج بهم الناظرون في دركات اباطيلهم وقد جعلوا هذه الاية
لكارثتهم واضجر في حجرهم وكل منصف يعلم انهم يجهلون بطلان كلامهم فيها لوضوح
معناها وقد تكلم معهم فيها بما لا مطمع في الزيد عليه مع حسن المناظرة ولو خطر بالشراك الزمخشري
خلق الله الشرك وقوم مذهب لكثرة لنفعهم لكيلا ان يجعلوه متشبثا ويقولوا لابراهيم
عليه الصلاة والسلام كيف تلوموننا على فعل الله وقد صح البيضاوي جعلها مصدرية قال
للسلامة من الحذف والمجاز فانا بنا ناعي استنادنا الى الدين وان اعتقاده لهذه العبر
مبني على مثل هذا العذر الذي لا يعوم عليه ادنى بحث من الطلبة ولو حامع

المصدر

١٥١

شيئا
المصدر لم يفدهم وجعل العمل على المعمول لان مقام المحاجة موجب لذلك من وجوه
ولقيام الدليل العقلي على انه لو صح الجبر لزم قبح التكليف وتعذر على المكلف من
كل قبيح فيجوز عليه الكذب فيبطل الشرع وبطل الاحتجاج اسم فاعل
محذوف ومن اشد الباطل بطلانا ما لزم من فرضه بطلانه اللهم الا لو كان فيهما
لا رجالهم ولا رغبة في الجدال الا الطمع في نصرة الحق والانصاف حتى يعيينا على شاهق نارا
والمحاق الباطل واهله ودمغه بالحجة فاذا هو زاهق ان الباطل كان زهوقا وليس ذلك
لله من يبصر ان الله القوي عزيز قوله تعالى قال اني ذاهب الى ربي سيهدين منتهى التكليف
ان يبين الله سبحانه للمكلف ما كلفه حتما كان او ان شاء فلذا اخبر الخليل جزما بانه
سيهديه وكذلك الكليم في قوله قال كلا ان معي ربي سيهدين صلوات الله وسلامه
عليهما واما عسى ان يهديني ربي سواء السبيل فان المطلب دنيوي لا جزم بانه
فتى تكمل مطلب ديني وفيت حق طلبه وغمه ذلك الاخلاص وحسن الادب وقبر
المجابين جدير بالحرمان ومن لم يبلغ جهده وغاية جهده فقد زهد في النعمة ولم يقدرها
حق قدرها فليس باهلها فهو قمين بالمنع اللهم اهدنا في من هديت قوله تعالى
فبشرناه بغلام حليم هو ظاهر في ان اسمعيل دعوته التي دعى وان كان فطلقه بنية صالح في
الجملة فقد اجابه الله سبحانه وجاز لك المطلوب ولدا واما البشارة باسحق فالظاهر
انها نعمة مستقلة ولذا عطفه على هذه البشارة بعد ما حكى من قصة الولد ولذا استغرب
ابرهيم بشارة الملئكة له باسحق من سارة من سارة ولو كان هو دعا به لكم لم يستبعد
وكان اختصاص اسحق بالاستغراب مع ان كلا منهما في كبر ابرهيم عليه الصلاة والسلام
لاجل انه من سارة ولو كان لمجرد كبره لما استغرب بعد اسمعيل او لعله يقول اسمعيل اجابة
دعوة وليس خرق في اجابة دعوة النبي بغريب بخلاف ما لم يكن كذلك وهو نظير ما كان
من زكريا عليه الصلاة والسلام وقد حرر ناهناك ثم انه لا يبعد في ان الذبيح اسمعيل العادة
من هذه الاية ومن عطف البشارة باسحق بعد حكاية قصة الذبح ومن كون البشارة
باسحق نصل بها البشارة بولد له هو يعقوب فيبعد ان يؤمر بذبح من لم يولد
وكذلك جا في السنة ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يسمي نفسه ابن الذبيحين وسماه بخبر
غيره وذبح اسماعيل شايع في التاريخ واما اسحق فانما هو من الاسرائيلية كانوا بعض
العلماء من مسلمي اليهود ووضعهم والواضع بلصوما وضع بالعلماء وغيرهم فلا يوثق
بالروايات التي لفقها في الكشاف فانما هي حطب ليل وهذا التحقيق الحق وكل من عمل منام
واسحق اهل لما اعطاه ربه لا نفرق بين احد منهم اخرج ابن جرير والحاكم

Copyright © King Saud University